الشّـاعـــر

تمـهـيـد :

يتواتر في أدب الرّومنطيقيين الحديث عن الشاعر ونبوّته تواترا ارتقى بمنزلة الشّاعر إلى مراتب معرفيّة صار معها مالكا للحقيقة تمّ اصطفاؤه لصونها وإبلاغها. وقد استغلّ العديد من الشعراء ما يعرض لهم من مقامات الإنشاء لتمرير هذه الصّورة ومن بينهم إيليا أبو ماضي الذي أهدى هذه القصيدة إلى روح خليل مطران * ليجعلها فرصة للحديث عن الشاعر و الشّعر بلسان الشّعر.

(من الرّمل)

عِنْدَمَا أَبْدَعَ هَـذَا الكَوْنَ ربُّ العَالَمِيـــنَا ... وَ رَأَى كُـلَّ الذي فيهِ جَمِيلاً وَ ثَمِيـــنَا
خَلَقَ الشَّـاعِرَ كَـيْ يَخْلُقَ للنَّاسِ عُيُونـــا ... تُبْصِرُ الـحُسْنَ و تَهْوَاهُ حَـرَاكًا وَسُكُـونَا
وَزَمَـانًا ، وَمَكَـانًا،وَشُخُوصًا وَشُؤُونَـــا ... فَـارْتَـقَى الخَلْقُ وَ كَـانُوا قَبْلَهُ لاَ يَرْتَقُـونَا
وَاسْتَمَرَّ الحُسْنُ في الدُّنْيَا وَدَامَ الحُبُّ فِينَـا

إِنَّهُ رُوحٌ كَرِيـمٌ لَبِسَ الطِّينَ المَهِيـــنَا[1] ... وَنَبِيٌّ بَـهَـرَ الخَـلْقَ وَمَا أَعْلَـنَ دِيـــنَا
يلمَـحُ النَّجْـمَ خَفِيًّا، وَيَـرَى العِطْرَ دَفِينًا ... وَيُرِينَا الطُّهْـرَ حَتَّى فِي الجُنَاةِ الآثِمِيـــنَا
وَيُحِسّ الفَرَحَ الأَسْمَى جَرِيحًا أَوْ طَعِيـــنَا ... كُلَّمَا شَاعَتْ دِمَاهُ أَمَلاً فِي البَائِسِيـــنَا

مَـنْ سِواهُ ثائرٌ فيه وَقَارُ النَّاسِكِيـــــنَا ... مَـنْ سِواه عَابِـدٌ فِيهِ جُنُونُ الثَّائِرِيـــنَا
مَنْ سِـواهُ عَـــانَقَ اللَّهَ يَقِيـنًا لاَ ظُنُونَـا ... مَنْ تُـرَى إِلاَّهُ يَحْيَا نَغَـمَاتٍ وَلُـحُونَا
مَنْ تُرى إلاّه يُفْني ذَاتَهُ فِي الآخَرِينَا

لَـوْ أَبَـى اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْه أَنْ يَكُـــونَا ... عَـادَتْ الأَرْضُ وهَادًا شَاحِبَاتٍ وَ حُـزُونَا[2]
تَرْتَدي الوَحْشَةَ[3] والهَوْلَ ضَبَابًا ودُجُـونَا ... وَأَقَاحِيـهَا هَـشِيمًا لاَ أَرِيجًا و فُتُـــونَا
وَسَـوَاقِيهَا سَـرَابًا هَـازِئًا بـالظَّامِئِيـــنَا ... وشَوادِيهَا دُمًى خَرْسَاءَ تُؤْذِي النَّاظِـرِيـنَا
وَاسْتَفَاقَ الجَدْوَلُ الحَالِـمُ غَيْظًا وَجُنُـــونَا ... وَاسْتَوَى النَّهْرُ عَلَى وَجْهِ الثَّرى جُرْحًا ثَخِينَا[4]
وَ انْـطَوَتْ دُنْيَا الرُّؤَى فِيهَا وَمَاتَ الحَالِمُونَا

إِي وَرَبِّي لَـوْ مَضَى الشَّاعِرُ عَنَّا لَشَقِيـــنَا ... ولَعِشْنَا بَـعْـدَهُ فِي غُصَصٍ لاَ يَنْتَهِيـــنَا
وَلأَمْسَى اللَّهُ مِثْلَ النَّاسِ مَغْمُومًا حَزِينَا!

زَعَمُوا وَلَّى وَلَنْ يَـرْجِعَ...وَيْحَ الجَاهِلِيـــنَا ... لَمْ يَمُتْ مَنْ كَانَ لِلَّهِ خَلِيلاً وَخَـدِيـــنَا[5]
عَاشَ حِينًا وَسَيَحْيَا بَعْدَمَا غَـابَ قُرونا

إيليا أبو ماضي: الديوان ص ص 750 دار العودة، بيروت، لبنان 1989

www.najahni.tn

اعـــــرف

الأعـــــلام :

- **إيليا أبو ماضـــي** : (1889–1957) وُلد في قرية المحيدثة بلبنان وقد هاجر أوّل أمره إلى مصر سنة 1900 وانبرى يقرض الشّعر وهو ما يزال صبيًا. وفي سنة 1911 هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة والتقى هناك بجمع من الأدباء المهاجرين وكان هذا اللّقاء فرصة لعقد جلسات أدبيّة ونقديّة ساهمت في بلورة مشروع الرّابطة القلميّة فتحوّلت تجربة إيليا الشعريّة من تجربة وفيّة للقصيدة التقليديّة في تلويناتها المختلفة إلى تجربة جديدة عانقت الرّومنطيقيّة مذهبا.يُعتبر إيليا أبو ماضي من أغزر جماعة الرّابطة القلميّة إنتاجا إذ أصدر فضلا عمّا كتب من مقالات عددا من المجموعات الشعريّة تنطق بتطوّر تجربته الفنيّة وهذه المجموعات هي:
  * تذكار الماضي وهي أوّل مجموعاته الشعريّة أصدرها في مصر سنة 1911 وقد كان فيها غارقا في التقليد واجترار القديم
  * ديوان أبي ماضي وهي ثاني مجموعاته نُشر سنة 1919 وفي هذه المجموعة تمازج القديم بالجديد في شعر أبي ماضي
  * الجداول وهي ثالث مجموعاته نُشرت بنيويورك سنة 1927 وفيها لاح جليّا انتساب أبي ماضي إلى خطّ شعريّ جديد دعت إليه الرّابطة القلميّة سبيلا لتجديد الأدب العربيّ وجعله أقرب ما يكون إلى ذات الإنسان.
  * الخمائل وقد صدرت هذه المجموعة سنة 1940
  * خليل مطران: (1871–1949) شاعر و أديب لبنانيّ. ولد في بَعَلْبَكْ.هاجر إلى مصر .لُقّب بشاعر القطريْن. كان راقي الخيال بديع التصوير من أشعر قصائده ز الأسد الباكيس له ديوان يُعرف بسديوان الخليلس وفيه برز انتماؤه إلى التيّار الرّومنطيقيّ في الأدب العربيّ الحديث.

الشـــــرح :

1 – المَهين : (هـ،و،ن) اسم مفعول من هان.وهان الأمرُ:خفّ ويسُر. أهان وهوّنه واستهان به وتهاون به : استخفّ به.والمهانة الحقارة والذُلُّ والضّعف.

2 – حزونا : (ح،ز،ن) الحَزْنُ ما غلُظ من الأرض،والجمع حُزُونٌ.

3 – الوَحْشة : (و،ح،ش) الفَرَقُ (الخوف) من الخَلْوَةِ.

4 – ثُخينا : (ث،خ،ن) صفة مشبّهة من ثَخُنَ الشيء ثُخونة :كثُف وغلُظ وصلُب.

5 – خدينا : (خ،د،ن) صفة مشبّهة من خدُنَ.الخِدْنُ والخدينُ :الصّديق والصّاحبُ المُحدّثُ. والخدين : الذي يُخادنك فيكون معك في كلّ أمر ظاهر وباطن.

فكّـــك

خضع النصّ للمقابلة بين حضور الشّاعر وغيابه: أُرصد أثر هذه الثنائيّة في تركيبة النصّ.

حلّـــل

1 – خضع النصّ لهندسة عروضيّة عمادها التفاوت الكميّ بين المقاطع والأبيات:تتبّع مظاهر هذا التفاوت وحلّله مبيّنا وجوه الطّرافة فيه.

2 – تتبّع في النصّ صورة الشّاعر وما أُسند إليه من أفعال وبيّن مرجعيّاتها وأثرها في الكشف عن منزلة الشّاعر عند أبي ماضي.

www.najahni.tn

3 – ادرس جوانب الإيقاع في النصّ مبرزا أثرها في تشكيل الموقف من الشّاعر.
4 – في خطاب أبي ماضي نزوع إلى تقديس الشّاعر حدّ تأليهه: فيم يتجلّى ذلك؟ وما دلالاته ؟

قـــــوّم

1 – هل يتناسب النصّ والإهداء الذي صُدّر به؟ علّل إجابتك بما تراه مناسبا من الحجج.
2 – هل من فروق بين صورة الشاعر في هذا النصّ وصورته عند جبران في نصّ «الشّاعر» ؟ ماذا تستخلص من هذه المقارنة؟

توسّـــع

1 – ورد في لسان العرب لابن منظور التعريف الآتي للشّاعر: «..قائل الشّعر شاعر لأنّه يشعر ما لا يشعر غيره أي يعلم... وسُمّي شاعرا لفطنته.»
ماذا تستخلص من هذا التعريف المعجميّ؟ وهل تعتبر من خلال ذلك أنّ الرّومنطيقيّين قد صالحوا بين الشّاعر وصفته الأولى؟
2 - تنشدّ خاتمة القصيدة إلى مقام قولها (الإهداء إلى روح خليل مطران) وتنفصل عنه لتكون ردّا على من نادوا - بناء على مقولة التطوّر وحاجات العصر – بموت الشّعر والشّاعر: ابن فقرة حجاجيّة تنتصر فيها لموقف من هذين الموقفين داعما رأيك بما تراه مناسبا من الحجج.

إضـاءات

«لَـوْ أَبَـى اللّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْه أَنْ يَكُونَا عَادَتْ الأَرْضُ وِهَادًا شَاحِبَاتٍ وَ حُزُونَا»

قدّم الشاعر في صدر البيت ضمير جمع المتكلّم «نحن» على ضمير الغائب المفرد «هو» الذي يعود علي الشاعر.ولو قلبنا الترتيب في الصّدر كما يلي:«أبى اللّه عليه وعلينا أن يكونا» ما تغيّر شيء من وزن الصّدر وهو ما يجعل عمليّة التقديم خيارا نظميّا بيّن من خلاله الشّاعر أن لا متضرّر من فرضيّة عدم خلق الشّاعر إلاّ بنو الإنسان عامّة وقد تكلّم الشاعر بلسانهم في هذا المقام.
«إِي وَرَبِّي» إي من أحرُف الجواب ولا تُستعملُ إلاّ قبل القسم كقوله تعالى ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ – يونس الآية 53 – وهي عند النحاة توكيد للقسم تفيد معنى «نعم».

شـــــذرات

كلّنا يتكلّم عن الشّعر.بعضنا يؤلّهه،والآخر يعشقه،والثالث يقرضه،والرّابع يقتات ويتنفّس به.هذا يشحذ ذاكرته بالمعلّقات والموشّحات والخاليات واللاّميّات،يردّدها في وحدته ويتلوها على مسمع أصحابه.وذاك يكتب القصيدة بعد القصيدة ويستعدّ لأن ينشر دُرر أفكاره في ديوان و لا ديوان أبي الطيّب.والآخر،الذي لم يُعلّمه أبواه « ألف،باء » يُصنّف على « المعنّى والقرادي والمرصود » أو يتغنّى بذاك « المَوّال » أو هذا البيت من العتابا.كلّنا يعشق الشّعر – فصيحا كان أم عاميّا – و لا بدع فنحن من سلالة قوم هم « إذا مات منهم شاعر قام شاعر ».

ميخائيل نعيمة : الغربال ص 57
دار نوفل الطّبعة الخامسة عشرة 1991

www.najahni.tn